

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علِّمنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

في هذا المجلس أعلِّق تعليقا يسيرا على معاني سورة الفاتحة وقصار السور بدءاً من سورة الزلزلة إلى سورة الناس ؛ ببيان مختصر وتفسير موجز لمعاني هذه السور .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ .

○ الاستعادة يُشرعُ الإتيان بها في كلِّ مرّةٍ يتلو فيها المسلمُ كتابَ الله . تبارك وتعالى ..

والاستعادة: التجاءٌ إلى الله، وطلبٌ منه . تبارك وتعالى . أن يُعيّدَ عبده، وأن يقيّه من الشَّيطانِ الرَّجِيمِ .

وإنما شُرعت الاستعادة بين يدي تلاوة كتاب الله ﷻ؛ لأنَّ الشَّيطانَ أشدَّ ما يكون حرصاً على صرفِ العبدِ عن هذا الكتابِ العظيمِ والفوزِ بهداياته والوقوفِ على معانيه ومضامينه والتأثرِ به؛ فشُرِعَ للعبدِ أن يستعيذَ بالله من هذا الشَّيطانِ حتَّى تكونَ قراءته لكتابِ الله . تبارك وتعالى . قراءةً سالمةً من وساوسِ الشَّيطانِ وهَمَزِهِ ونَفْحِهِ، محفوظاً بحفظِ الله .

و«الشَّيْطَانُ» أي: العاقي المتمرّد، العاوي المعوي لعبادِ الله، الصّادّ لهم عن طاعةِ الله . تبارك وتعالى ..

«الرَّجِيمُ» أي: المطرود المبعّد الملعون، الذي أبعدَه اللهُ - سبحانه وتعالى - من رحمته، ولما كان مُبعداً عن الرّحمة أراد أن يُعيّدَ عبادَ الله عنها، فطلبَ من العبدِ أن يستعيذَ بالله من هذا الشَّيطانِ العاقي المتمرّد، الذي يعملُ على صرفِ الإنسان عن طاعةِ الله وعبادته والفوزِ برحمته . جلّ في علاه ..

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ البسملةُ آيةٌ من كتابِ الله ﷻ، يُؤتى بها بين يدي تلاوة كلِّ سورةٍ، عدا: سورة براءة .

والبسملةُ: هي كلمةٌ استعانةٍ بالله . تبارك وتعالى ، ومعنى بدءِ التلاوةِ بالبسملة: أي أنّ من يتلو كتابَ الله يبدأ تلاوته مُستعيناً بالله؛ لأنَّ الباءَ في: «بِسْمِ اللَّهِ» باء الاستعانة، مُتبرِّكاً بذِكْرِ اسمه . تبارك وتعالى ..

﴿الله﴾ علّمَ على الله ﷻ، ومعناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو دالٌّ على ألوهيةِ الله: وهي أوصافُ الكمالِ والعظمةِ والجلالِ التي استحقَّ بها أن يُؤلّه وأن يُعبَدَ وأن يُذلَّ له ويُخضعَ له . جلّ في علاه ، ودالٌّ على العبودية: وهي أفعالُ العبدِ التي يقتضيها هذا الاسمُ؛ من ذلٍّ، وخضوعٍ، وانكسارٍ، وإقبالٍ على الله . تبارك

وتعالى ..

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، دَالَّانِ عَلَى ثَبُوتِهَا لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أَمَّا ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فَهُوَ دَالٌّ عَلَى الرَّحْمَةِ الواسِعَةِ الشَّامِلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٦]، و﴿الرَّحِيمُ﴾ دَالٌّ عَلَى مَا خَصَّ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ، كَمَا قَالَ - جَلَّ فِي عُلَاهُ -: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ٤٣].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الْحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ مَعَ الْحُبِّ لَهُ - جَلَّ وَعَلَا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثْنِي عَلَيْهِ عَلَى أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَيُثْنِي عَلَيْهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَلْيَتِهِ وَمَنْنِهِ الَّتِي لَا تَعَدُّ وَلَا تَحْصَى.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: خَالِقِهِمْ، وَمَالِكِهِمْ، وَالْمُدَبِّرِ لَهُمْ، وَالْمُتَصَرِّفِ فِيهِمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالْعَالَمُونَ: هُمْ مَنْ سِوَى اللَّهِ.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أَي: الْمُتَصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أَي: يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، فَالَّذِينَ هُوَ الْحِسَابُ، وَمِنْ أَسْمَاءِ رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا -: «الدَّيَّانُ» أَي: الْمِجَازِي الْمِحَاسِبِ، وَهَذَا فِيهِ: الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَمِنْ لِقَائِهِ وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ].

﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهَا: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ وَالْاِسْتِعَانَةِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ أَي: أَخْلَصُ لَكَ عِبَادَتِي، فَلَا أَعْبُدُ غَيْرَكَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَي: أَخْلَصُ اسْتِعَانَتِي بِكَ، فَلَا أَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ سِوَاكَ.

فَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بَرَاءَةٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ.

﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ تَحْقِيقٌ ل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَحْقِيقٌ ل: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ فِيهَا الْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وَالرِّيَاءِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهَا خُلُوصٌ مِنَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِيَاءِ.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَي: دُلَّنَا وَوَقَّفْنَا يَا اللَّهُ؛ لِسُلُوكِ هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَاتِّبَاعِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الْاِنْفِطَارُ: ١٥٣]، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهِ لِعِبَادِهِ، وَلَا يَرْضَى لَهُمْ دِينًا سِوَاهُ.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشَّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، مَنْ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُمْ: الْيَهُودُ، وَمَنْ سَلَكَ نَهْجَهُمْ، مِمَّنْ يَعْلَمُ الْحَقَّ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم: النَّصَارَى، وَمَنْ سَلَكَ مَسَلَكَهُمْ؛ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِغَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا عِلْمٍ.

والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال، كما قال سفيان ابن عيينة: «مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا؛ كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا؛ كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى»^(١).

ومن أعظم ما يُعِينُ عَلَى فَهْمِ هَذِهِ السُّورَةِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٢).

ومعنى: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ» أي: الفاتحة، وَسُمِّيَتْ صَلَاةً؛ لِأَنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا، لِعِظَمِ مَكَانَتِهَا فِي الصَّلَاةِ. وَمَعْنَى قَسَمَهَا بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ: أَي: أَنَّ ثَلَاثَ آيَاتٍ وَنِصْفَ مِنْهَا لِلرَّبِّ، وَهِيَ: أَوَّلُهَا، وَثَلَاثَ آيَاتٍ وَنِصْفٍ لِلْعَبْدِ، وَهِيَ: آخِرُهَا.

فأولها: ثناءً على الله، وآخِرُهَا: دُعاءٌ للعبد.

وهي تَسْمَى: «أُمَّ الْقُرْآنِ» لِأَنَّهَا حَوَتْ إجمالاً ما حوَاهُ الْقُرْآنُ تَفْصِيلاً، وَهِيَ مَلِيئَةٌ بِالدَّرُوسِ وَالْعِبَرِ، وَتَقْرِيْرُ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَأَصُولِ الْإِيمَانِ، وَأُمُورِ الشَّرِيعَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَوَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ. •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا^(٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا^(٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا^(٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا^(٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ^(٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨).

○ هذه السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ «سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ» فِيهَا ذِكْرُ الرَّبِّ - جَلَّ فِي عُلَاةِ - لِلْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ فَإِنَّ مِمَّا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ قِيَامِ السَّاعَةِ: تَزَلُّلُ الْأَرْضِ، وَهُوَ ارْتِجَاجُهَا وَاهْتِرَازُهَا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: ارْجَحَّتْ وَاهْتَزَّتْ وَتَحَرَّكَتْ.

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ أي: أُخْرِجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دُفِنُوا فِيهَا، وَأُلْقَتْ مَا فِيهَا مِنْ

(١) ذكره ابن كثير: في «تفسيره» (٤/١٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

كنوز، وهذا الإخراج لهؤلاء الناس من الأرض هو إيدانٌ بقيام الساعة والوقوف بين يدي الله . تبارك وتعالى ..
﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: يقوم الإنسان من قبره إلى حشره ووقوفه بين يدي ربه مدهولاً من هذا الأمر العجيب
 والمنظر المهول، قائلاً: ما لها؟! ما للأرض حصلت لها هذا الذي حصل؟!!

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة **﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** تحدث الأرض بما كان عليها وما فعله الناس فوقها من خيرٍ أو شرٍّ؛
 وهذا فيه أن الأرض تشهد بما حصل عليها من أخبارٍ وأحوالٍ وأقوالٍ وأعمالٍ قام بها الناس، وهي شهادةٌ منها عليهم
 بأمر الله، كما قال الله سبحانه: **﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾** أي: أمرها وأذن لها بهذه الشهادة.

ثم من بعد ذلك يكون حال الناس الصُّدورَ من أرض الموقفِ لملاقاةِ الجزاءِ والحسابِ كلِّ بحسبِ عمله؛ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**
 أي: يوم القيامة **﴿يَصُدِّرُ النَّاسَ أَشْنَانًا﴾** أي: أصنافاً وأجناساً، كلٌّ بحسبِ عمله من خيرٍ أو شرٍّ، **﴿يُرَوُّوا أَعْمَالَهُمْ﴾**
 أي: يُعَايِنُوا وَيُشَاهِدُوا وَيَقْفُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا وَقَفَرُوا وَفَعَلُوا مِنْ أَعْمَالٍ، سواءً كانتِ الأعمالُ خيراً أو شراً، مُحصاةً
 عليهم، وهذا الإحصاءُ للأعمال - خيرها وشرها - بمثابةِ الدَّرِّ، يَرَوُّوا أَعْمَالَهُمْ كُلَّهَا، لا ينقصُ من عملهم شيءٌ؛ لا من
 خيرِ العملِ ولا من شرِّه، لا من قليله ولا من كثيره، ثم ينالوا الثوابَ على العملِ الصَّالحِ، والعقابَ على العملِ السيِّئِ.
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** الذرَّة: هي الواحدة من صغار النمل،
 فالوزن يومَ القيامةِ بمثابةِ الدَّرِّ في خيرِ الأعمالِ وشرِّها، وهذا فيه تنبيهٌ للعبادِ أن لا يحقرُوا من أعمالِ الخيرِ شيئاً،
 وقد قال النبيُّ . عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ .: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣)؛ فإنَّ الوزنَ يومَ القيامةِ بمثابةِ الدَّرِّ.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: من خير **﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾** **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾** أي: من شرٍّ **﴿شَرًّا يَرَهُ﴾**
 أي: عقوبةً على أعماله جزاءً وفاقاً، وهذا فيه التحذير من الاستهانة بمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كما جاء في حديث عائشة
 >: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَلَبًا» (٤). بل عليه أن يجتنب الذنوبَ كبيرها وصغيرها، وإن وقعَ
 في شيءٍ منها بادر إلى التَّوبَةِ والإِنَابَةِ إلى الله - سبحانه وتعالى - .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيدِ صُبْحًا﴾ (١) **﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾** (٢) **﴿فَالْمُعِيرَتِ صُبْحًا﴾** (٣) **﴿فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا﴾** (٤) **﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾** (٥) **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** (٦) **﴿وَإِنَّهُ**
﴿عَلَى ذَلِكَ لَشِيدٌ﴾ (٧) **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** (٨) **﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾** (٩) **﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾** (١٠) **﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾**
 .

○ هذه السُّورَةُ العظيمة «سورة العاديات» فيها قَسَمٌ من الله . تبارك وتعالى . بهذه المخلوقات، والله عَزَّ وَجَلَّ يُقَسِّمُ
 بما شاء من مخلوقاته، وإقسامُ الله تعالى بهذه المخلوقات فيه تشريفٌ لها، وأمَّا المخلوق فلا يجوزُ له أن يُقَسِّمَ إلا بالله؛

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٨١١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةُ» (٥١٣).

لقول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ خَالِفًا فَلْيُخْلَفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»^(٥). ولقوله: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٦).

﴿وَالْعَدِيَّةِ صَبْحًا﴾ هذا قَسَمٌ منه - تبارك وتعالى - بالْحَيْلِ الْمُنْطَلِقَةِ عَدُوًّا، على مُتَوَنِّهِهَا الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الصَّابِرُونَ الْمُحْتَسِبُونَ، الْقَاصِدُونَ بِجِهَادِهِمْ إِعْلَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ - تبارك وتعالى - .

وَالْعَدُوُّ مَعْرُوفٌ؛ وَهُوَ سُرْعَةُ جَرِيهَا، مُتَّجِهَةٌ إِلَى أَمَاكِنِ أَعْدَاءِ دِينِ اللَّهِ - تبارك وتعالى -، وَالضَّبْحُ: هُوَ نَفْسُ الْحَيْلِ، فَمَعَ شِدَّةِ عَدُوِّهَا وَجَرِيهَا يَخْرُجُ مِنْهَا هَذَا النَّفْسُ بِهَذَا الصَّوْتِ.

﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ أي: أَنَّ حَوَافِرَهَا مَعَ شِدَّةِ جَرِيهَا وَعَدُوِّهَا وَسُرْعَتِهَا عِنْدَمَا تَلَامَسُ الْأَرْضَ الصَّلْبَةَ أَوْ الْحَصَى يَنْقَدِحُ مِنْهَا الشَّرُّ وَالنَّارُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى قُوَّتِهَا وَسُرْعَتِهَا وَقُوَّةِ انْطِلَاقِهَا لِلْمَلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ.

﴿فَالْمَغِيرَاتِ صَبْحًا﴾ الْمَغِيرَاتُ: أَي عَلَى الْأَعْدَاءِ، صُبْحًا: أَي وَقْتُ الصُّبْحِ، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَجِيوشِهِ، يُغَيِّرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

﴿فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا﴾ أي: عِنْدَمَا تَأْتِي بِهَذِهِ الْقُوَّةُ وَهَذِهِ السُّرْعَةُ إِلَى حَيْثُ مَكَانِ الْأَعْدَاءِ؛ تَتَبَيَّرُ الْعُبَارُ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ مِنْ شِدَّةِ الْعَدُوِّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى سَاحَةِ الْقِتَالِ.

﴿فَوْسَطَنَ بِهِ﴾ أي: بِالْمُقَاتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى مَتْنِهَا، ﴿جَمْعًا﴾ أي: جَمُوعِ الْأَعْدَاءِ، فَتَأْتِي مُنْطَلِقَةً، وَتَدْخُلُ بِالْمُقَاتَلِ عَلَيْهَا فِي صُفُوفِ الْأَعْدَاءِ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْفَتْكُ بِهِمْ.

هَذَا هُوَ الْقَسَمُ.

أَمَّا الْمَقْسَمُ عَلَيْهِ: فَهُوَ بَيَانُ حَالِ الْإِنْسَانِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وَالْكَنُودُ: هُوَ الْجَاهِدُ لِلنِّعْمَةِ، فَهَذَا حَالُ الْإِنْسَانِ عَمُومًا، يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِأَنْوَاعِ النَّعْمِ وَصُنُوفِ الْمَنَنِ، فَيَكُونُ كَنُودًا جَاحِدًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ وَمِنِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمُسِيكًا شَحِيحًا بِخِيَالًا لَا يُنْفِقُ وَلَا يَبْذُلُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، إِلَّا مَنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ وَنَجَّاهُ.

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: هَذَا الْإِنْسَانُ ﴿عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: شَهِيدٌ عَلَى نَفْسِهِ بِهَذِهِ الصِّقَةِ الدَّمِيمَةِ وَالْحِصْلَةِ الْمَشِيئَةِ.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: الْمَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ نَفْسُهُ لَا تَقْنَعُ مِمَّا أُوتِيَ مِنَ الْمَالِ، يَحْبُ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا، أَي حُبًّا شَدِيدًا، لَوْ أُوتِيَ مِنَ الْمَالِ وَادِيًا لَتَمَتَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادٍ آخَرَ.

ثُمَّ نَبَّهَ - تبارك وتعالى - على مَا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى النَّجَاةِ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: الْإِنْسَانُ ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ هَذَا أَمْرٌ جَدِيدٌ بِالْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ذِكْرِ لَهُ وَعِلْمِ بِهِ، وَأَنَّ هَذَا

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

الجحودَ لنعمةِ الله، وهذا الحبُّ للمال والانكبابَ عليه، والانشغالَ به عمَّا حُلِقَ العبدُ لأجله وأوجدَ لتحقيقه؛ المآلَ فيه إلى أنّ هذا العبدَ سيموت، ثمَّ يُعَثَّرُ ما في القبور، ويقومُ النَّاسُ من قبورهم للمُجازاة والمِحاسبة.

﴿وَحَصَلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يُحَصَّلُ في ذلك اليوم ما انطوت عليه، لِيُجَازَى العبدُ على ما كان عليه من شُحِّ وُبُخْلِ، وكنودٍ وغير ذلك من الخِصالِ الذميمة.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: مُطَّلَعٌ على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومُجَازِيهِم عليها.

و«الخبير» اسمٌ من أسماءِ الله؛ وهو العليم ببواطن الأمور وخفايا الأشياء، كعلمه بظواهرها وعلنيها. ❁

